

مجاهدة النفس

الأستاذ الدكتور : بلقاسم شتوان

هي أيام قلائل ثم يرحل منها المسلم إلى دار الخلد والكرامة إن شاء الله .

فليكن تعامل المسلم معها على قدر إقامته فيها، ينعم بما فيها من طيبات الله، على أن تكون من حلال دون أن تعثرها شبهة، فالحلال بين و الحرام بين و بينهما أمور مشتهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه، و عرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام .

ثم ومن شروط الحياة الروحية في الإسلام أيضا اتهام النفس و مجاهدة الهوى لأنهما حجاب عن الله فمن استطاع التغلب عليهما فقد دخل البيوت من أبوابها ولكن كيف يتغلب المسلم الصادق عليهما، و كيف يقهرهما،

إن الحياة الروحية في الإسلام تتوخى التوبة من الذنوب و الزهد في الدنيا، و عداوة النفس، و مجاهدة الهوى. ولا بد كذلك من عقد صلح مع الله، قبل أن يبدأ المسلم في السير إليه و ذلك بتوبة صادقة كما ذكرنا تجب ما حدث من مخالفات .. فإذا ما صحت التوبة، لا بد من ركن ثان و هو أن يزهد المسلم في الدنيا، بمعنى أنه لا يحبها حبا يملك عليه قلبه فلا يكن همه الإكثار منها بأية وسيلة وبأي طريق. ولكن الزهد الحقيقي هو أن يملكها لا أن تملكه ويتصرف فيها لا أن تتصرف في فيه ، و يستخدمها لا أن تستخدمه .. فحقيقة الدنيا أنها معبر للآخرة فقط ، و ليست بدار إقامة، إنما

ملف العدد

النفس واجبة. و محال أن يجاهد سائر إلى الله من هو جاهل لها، فمعرفتها باب لمعرفة الله بمقتضى حكم الله .

وقالوا إن معرفة النفس فرض عين، لأن معرفة الرب موقوفة على معرفة النفس، و من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه، و لذا قال عليه الصلاة و السلام: **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)**.

والجهل بالله حرام، و معرفة الله واجبة. **الثاني:** يراد به حقيقة الآدمي وذاته، فإن نفس كل شيء حقيقته، وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات، و هو من عالم الملكوت و من عالم الأمر، و تختلف أسمائها باختلاف أحوالها العارضة عليها، فإن اتجهت إلى الصواب و الرشد، و نزلت عليها السكينة الإلهية، و تواترت عليها نفحات فيض الجود الإلهي، فتطمئن إلى ذكر الله عزوجل، و تسكن إلى المعارف الإلهية، و تطير إلى أعلى أفق الملائكية، فيقال لها عندئذ نفس مطمئنة، و ذلك في قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ الفجر: 27 - 28 .

قال العارفون بالله: إن النفس

فإذا ما عرفنا الأسلحة التي يملكها، وأدوات قوته، التي يمكنه التغلب عليهما عن طريقه، استطاع أن يقاومهما و أن يحبط مخططاتهما، و خير وسيلة للدفاع الهجوم، و الوقاية خير من العلاج .

إن مجاهدة النفس، هي الطريق للترقي و نيل الدرجات و المقامات .

و لا يصل المسلم إلى الله، إلا إذا و طّن نفسه على جهاد لا هوادة فيه، و تحمل مشاق المجاهدة، و صبر على مكائد عداوة النفس، حتى تلقي بأسلحتها و تستسلم، و ترفع الراية البيضاء .

ومن تعاريف النفس أنها تطلق بمعنيين :

الأول: يراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة، و هي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية و هو المفهوم المعروف عند العلماء .

فيقال: من أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك، و إليه الإشارة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعدى أعدائك، نفسك التي بين جنبيك " .

و من هنا قال العلماء: إن معرفة

وقال أهل التفسير: أقسم الله بالنفس اللوامة، أي بالنفس التي تلوم صاحبها على التقصير في جنب الله. وإن المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه ! وإن الكافر أو العاصي يمضي ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها، وهذه النفس هي حالة أكثر الخلق. فمن ارتفع إلى أفق الملائكة وتخلق بالعلوم والفضائل والأعمال الحسنة فهو ملك جسماني، لارتفاعه من الإنسانية وعدم مشاركته للبشر إلا بالصورة الجسمية، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ يوسف: 31.

و من نزل حتى صار في حضيض البهائم، فترك لنفسه اقتراف الشهوات والملذات المحرمة وأمعن في ارتكاب المعاصي والآثام دون رادع أو وازع من دين أو ضمير وانسلخ عن كل الفضائل الإنسانية، و صار لا يشارك الإنسان إلا في الصورة الجسمية، فهو يملك بهذا نفساً، يقال لها: النفس الأمارة، وهي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر بالذات والشهوات، وتجذب القلب إلى الأسفل، فهي مأوى الشر، وأصل الأخلاق

المطمئنة هي التي تم تنويرها بنور القلب، حتى انخلعت عن صفتها الذميمة، و تخلقت بالأخلاق الحميدة، وتوجهت إلى القلب بالكلية، مشايعة له في الترقى إلى عالم القدس، متنزهة عن الأرجاس، مواظبة على الطاعات، تطمع في الوصول إلى رفيع الدرجات، فهي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها.

وإن كانت مع قواها وجنودها في حرب و قتال، و شجار و نزاع، و كانت الحرب بينها وبين العقل سجالاً، فلا تكون حالها مستقيمة، فتارة ينتصر عليها فتثبت على الطاعات و تارة تستولي عليها قوى الشر فتنتصر عليه، فتتهبط إلى حضيض منازل البهائم، فهذه النفس هي التي تسمى النفس اللوامة، وهي التي أقسم الله في القرآن، حيث قال تعالى في سورة القيامة: ﴿ لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝١ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴾ القيامة: 1 - 2. أي التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات، أي تلوم صاحبها على ما ترك من طاعات، كما تندم على ما اقترفت من معاصي وموبقات.

ملف الصدق

الطعام و الشراب، و هذه الشهوة تقطع بالرياضة و الصوم و الإقلال من الطعام و الشراب .

2 - الغضب: يقطع بالحلم .

3 - الكبر: يقطع بالتواضع .

4 - الحسد: يقطع بالاعتقاد أن الملك لله، و أن الناس عبيده، فيهب لمن يشاء، وينزع ممن يشاء، فهو يتصرف في ملكه كما يشاء، و أنه الأعم بما يصلح لخلقه.

5 - البخل: يقطع بالجود و السخاء و الإنفاق.

6 - الحرص يقطع بالقناعة و التعفف.

7 - الرياء: يقطع بالإخلاص و الصدق مع الله.

و خلاصة القول: أن مخالفة النفس و التجرد عن حظوظها، رأس العبادة، لأنها أعظم حجاب بين العبد و ربه، و كما قيل: " من طغت عليه رغونات نفسه، غابت عنه إشراقات أنسه " .

إن النفس هي محل الأوصاف المذمومة، و أن الروح هي منبع الأخلاق

الذميمة و الأفعال السيئة، فصاحب هذه النفس أصبح حيوانا أو أشبه بالحيوان، و هو من هؤلاء الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الأنعام: 112 .

و قال أيضا فيهم: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف: 179. وقال فيهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: " يا أشباه الرجال و لا رجال " .

فصاحب هذه النفس تراه عبدا لشهواته و هواه و شيطانه حتى يغرق تماما في الآثام و يصبح لعبة في يد شيطانه، يلعب به كيف يشاء و هذا هو الذي أخبر الله سبحانه عنه، فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَزَعَهُ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يوسف: 53.

يقول الإمام أبو عبد الله الحكيم الترمذي: النفس الأمارة بالسوء، شيطان له سبع رءوس: [الشهوة، و الغضب، و الكبر، و الحسد و البخل، و الحرص، و الرياء] و تفسيرها كالآتي:

1 - الشهوة: المقصود بها شهوة

صاحبها، إذا ما وافقها، واتبع رغباتها، فقال: (أعدى عدوك: نفسك التي بين جنبيك).

فلأجل هذا طلب الله من المسلم مجاهدتها، حق المجاهدة، فقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ **الحج: 78**. ثم بين الله عزوجل أن المسلم الذي يجاهد هواه ونفسه، فإن الله يؤيده وينصره، ويمده بالعون، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **العنكبوت: 69**.

فسمّى الله الذي يجاهد نفسه "محسناً" ووعد أنه يكون معه، و من كان الله معه فهو المنصور الذي لا يغلب، و هو المؤيد الذي لا يقهر، و قد وعد الله أيضاً أن من يجاهد في الله حق جهاده، أنه يتولي هدايته في الدنيا، فكان هذا ثوابه في العاجل، فكيف بثوابه في الآجل - أي في الآخرة -.

و بتلك الهداية ينال المسلم ولاية الله تعالى، و بولاية الله يفوز بقربه و زلفاه.

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ أَجْتَبَاكُمْ﴾ **الحج: 78**، أي أن الله اصطفاكم واختاركم على

المحمودة. و ما دامت النفس الإنسانية هي منشأ كل القبائح، فلا بد إذن من مجاهدتها حتى تنقاد لصاحبها وتتوقف عن مطالبتها الدنيوية التي لا تنتهي فهذا المعنى ذكرها الله عز وجل في أكثر من آية، محذرا المسلم من اتباعها، أو السير في فلکها، و طلب منه مجاهدتها، و الدخول معها في قتال لا هوادة فيه، حتى تستسلم؛ و تسلم المقادة له فمن ذلك قول الله عزوجل: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يوسف: 53. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ **النازعات: 40 - 41**. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ طه: 96. وقال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ **المائدة: 30**، وقال عزوجل لسيدنا داود عليه السلام: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ **ص: 26**.

وبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة النفس، و أنها عدوة

ملف الصد

بمجاهدة النفس و الهوى و الشيطان،
والمثابرة على ذلك حتى يأتيه اليقين .

وفي هذا المعنى قال أبو عثمان
المغربي المتوفى سنة (273 هـ): " من
ظن أنه يفتح له شيء أو يكشف له عن
شيء ولم يلزم مجاهدة نفسه فهو في
غلط (أي في خطأ) .

و يقول سيدي عبد القادر الجيلاني
المتوفى سنة (561 هـ): " المجاهدة
بالنسبة للسائر إلى الله فرض و سنة،
لا محالة له عنهما " . ثم يقول: " من
أراد سلوك طريق الحق، فليهدب نفسه
قبل سلوكه، ويدوام على مجاهدتها
حتى تتفتح عينها، وينطلق لسانه " . ثم
يقول: وطريق المجاهدة طويل و شاق،
فسالكة كلما جاهد نفسه و كسر حداثتها
و قتلها بسيف المخالفة، أحيائها الله مرة
أخرى و يظل السالك في هذه المعاناة
الطويلة، التي وصفها النبي صلى الله
عليه و سلم بالجهاد الأكبر، فيكتب له
ثواب المجاهدين " .

و يقول أبو علي الروزباري، المتوفى
سنة (322 هـ): اعلم أن أصل المجاهدة
و ملاكها، فطم النفس عن المألوفات،
وحملها على خلاف هواها .

سائر الأمم وفضلكم و شرفكم وخصكم
بأكرم رسول و أكمل شرع، فكونوا عند
حسن الظن بكم، ثم قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا
بِاللَّهِ﴾ النساء: 146 . أي استعينوا على شر
النفس بالله تعالى .

فالله سبحانه و تعالى يوجه المسلم
لمعرفة الله بعقله الذي وهبه له، حتى
يقهر نفسه و ينتصر عليها .

ثم قال في آخر الآية: ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ
فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الحج: 78 .

و قد أكد الله عزوجل وعده بالنصر
للمسلم و شجعه على المجاهدة، لأنه
ناصره و مؤيده . ثم قال عزوجل: ﴿إِنْ
يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ
ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ آل عمران: 160 .

فالأهمية مجاهدة النفس في حياة
المسلم السالك إلى الله، عقد الإمام أبو
القاسم القشيري في " رسالته القشيرية "
بابا سماه " المجاهدة " : يبين أن السائر
إلى الله، لابد له من مجاهدة شاقة
للنفس، حتى يصل إلى غايته، التي هي
أسمى الغايات، ألا وهي القرب من الله
.. و ما رأينا وليا من أولياء الله، قديما
و حديثا، وصل إلى الله إلا بالمجاهدة أي

ملف الصد

وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير:

الأولى: انهماكها في الشهوات وامتناعها عن الطاعات، فإذا جمحت لركوب الهوى، وجب كبحها بلجام التقوى.

الثانية: إذا امتنعت عن القيام بالطاعات يجب إرغامها على خلاف هواها، فإن مقاساة الجوع و السهر سهل يسير، ومعالجة الأخلاق و الترقى عن سفاسفها صعب شديد.

و قال أيضا: دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة:

الأول: سقم الطبيعة: فسئل ما سقم الطبيعة؟ قال: أكل الحرام.

الثاني: ملازمة العادة: فسئل ما ملازمة العادة؟ قال: النظر إلى ما حرم الله و الاستماع إلى الحرام و الغيبة.

الثالث: فساد الصحبة: قيل وما فساد الصحبة؟ قال: كلما هاجت في النفس الشهوة، تبعثها أي وافقتها.

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى سيدنا داود عليه السلام: "يا داود، حذر

و انذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا، عقولها عني محجوبة".

قال أبو القاسم محمد النصر أباذي (369 هـ): "سجنك نفسك، فإذا خرجت منها، وقعت في راحة أبدية".

و قال أبو حفص عمر الحداد (323هـ): النفس ظلمة كلّها، وسراجها سرها، و نور سراجها التوفيق، فمن لم يصحبه في سره توفيق من ربه، كان ظلمة كله. وقال: ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه.

و قال أبو عثمان المغربي (373هـ): لا يرى أحد عيب نفسه، و هو مستحسن من نفسه سيئا، وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال.

و شاء الله ألا يدخل الجنة مسلم إلا إذا كان مستحقا لها، كما قضى ربنا ألا يدخل أحد النار إلا إذا قدمت له كل أنواع الهاديات، و سبل النجاة، و لكنه يأبى إلا أن يكون من العصاة المستمرين في عصيانهم و إثمهم حتى الموت.

و لذلك يقول رسول الله صلى الله

ملف الصد

اللسان، والسمع، والبصر، واليدان،
والرجلان، والبطن، والفرج، وانزل
في القرآن الكريم آيات بينات، تبين لنا
كيف نتقي طغيان تلك الجوارح، وكيف
نلزمها تقوى الله .

فقال في شأن اللسان و اليدين
والرجلين: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَيْنِدٌ ﴾ ق: 18 ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ
وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النور:
24 ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ
إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ
بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

النساء: 114 .و قال في شأن السمع و
البصر و الفؤاد: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ
وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ غافر: 19 ﴿ وَلَا
تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾
الإسراء: 36 ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ
أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى
لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور: 30 ﴿
وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ
إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ النور: 31 .و قال في
شأن البطن و الفرج: ﴿ وَلَا تَسْكَبُوا مَا

عليه و سلم: (النار بالشهوات، و الجنة
بالمكاره) .وفي رواية (حفت الجنة
بالمكاره و حفت النار بالشهوات)
ومعناه إنك أيها المسلم إذا أردت الجنة
وما فيها من نعيم خالد و حياة هنيئة لا
تبلى و لا تزول، فعليك بجهد لا هوادة
فيه و صبر على المكاره، و من حفظ
للجوارح عن شهواتها المذمومة .

أما إذا أردت أن تستمتع بشهواتك،
وتعطي لجوارحك كل ملذاتها و رغباتها
المحرمة، فاعلم أن ذلك يؤدي بك إلى
النار لا محالة، و في ذلك يقول رسول
الله صلى الله عليه و سلم: (الدنيا سجن
المؤمن و جنة الكافر) ويقول عزوجل:
﴿ بَكَى مَنْ كَسَبَ سَكِينَةً وَأَحْطَتْ بِهِ،
خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: 81 .

و النفس، كما يقول العارفون بالله،
بلهاء، أي فاقدة لرشدها و عقلها، و تجري
 وراء شهواتها، فإذا لم يمنحها صاحبها
الحلال، قادته لا محالة إلى الحرام .

فلهذا أمرنا الله عزوجل أن نحفظ
جوارحنا السبع من كل ما يطغىها، و يخرجها
عن حد التقوى، و تلك الجوارح هي:

ملف الصدق

وَالْقَانِثِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ ﴿ال عمران: 17﴾

فلأجل هذا يحذر الله عز وجل عباده
بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمُ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ المنافقون: 9. وقال تعالى
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الكهف:
46. ثم قال عزوجل: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الكهف: 46.

فمن أحب المال و البنين للزينة
والفرح بهما، كان فرحه للدنيا، و كان
وله قلبه إلى الهوى لا إلى الله عزوجل
فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم: " ما تحت أديم السماء إله يعبد
من دون الله عز وجل، أبغض إلى الله
من الهوى ". وقال عزوجل: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ
أَتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الفرقان: 43. وقال
تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿١٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ
النازعات: 40 - 41.

أما إذا تناول المسلم شهوات الدنيا و
زينتها المباحة كالمال والجاه والسلطان
و كان قلبه بين يدي الله عزوجل، غير
مفتتن بها، فإن ذلك لا يضره، و قد

نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿النساء: 22﴾ وَالَّذِينَ
هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ
المؤمنون: 5 - 7.

وليعلم المسلم أن الله سبحانه
وتعالى قد ابتلى عباده بزينة الدنيا،
فإما أن يفرحوا بها وتستهوهم، و
ينشغلوا بها عن ربهم، و إما أن يقلبوا
على ربهم عزوجل، و ما وعدهم الله
به من دار الكرامة و الخلود و النعيم
الدائم حيث يقول تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ
حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمِئْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتْنَعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾
آل عمران: 14. ثم وصف الله عزوجل
حسن المتأب فقال ﴿قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ
ذَٰلِكُمْ﴾ آل عمران: 15. ثم بين لمن هي؟
فقال: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾ آل عمران: 15، فوصفها
بما فيها، ثم بين المتقين من هم ؟
فقال عزوجل: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ

و ذهب إلى الأطباء ليعالجوه و لكنه لم يشف فقال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، و قلت له: يا رسول الله امسح بيدك على عيني فإنها تؤلمني كثيرا، فقال صلى الله عليه وسلم: امض إلى أبي نصر العطار يمسح على عينيك. فقلت في نفسي: أأدع رسول الله صلى الله عليه وسلم و أذهب إلى رجل من أبناء الدنيا ؟ ! و عاودته القول، و قلت يا رسول الله: امسح على عيني، فقال عليه السلام: أما سمعت الحديث ؟ إن الصدقة لتقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل. و هذا نصر، قد صافحت يده يد الحق سبحانه و تعالى .. امض إليه. فانتبهت، و مضيت إليه، فلما رأيته قام حافيا، و استقبلني ببشر و ترحاب، وقال: ما الذي رأيته في المنام بالأمس ؟! ثم مسح على عيني و هو يقرأ سورة الفاتحة والمعوذتين، فذهب الألم في الحال. قال الراوي: لم أعطى الله أبا نصر هذه الكرامة و تلك الولاية ؟ قال: لأنه كان كثير الصدقة على الفقراء والمحتاجين، قارئاً للقرآن، يكسو العراة و الأيتام، ويقضي عن المدين دينه، ويحضر دروس العلم والحديث، و يزور

ضرب الله مثلاً لنا في القرآن بنبي من الأنبياء، و هو سيدنا سليمان عليه السلام، ملك الدنيا شرقها و غربها، ولم تشغله تلك العطاءات و المن عن الله، فكان قلبه أخشع القلوب لله عز وجل، فقال تعالى: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ يُغَيِّرْ حِسَابَ ﴾ ص: 39. ثم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ ﴾ ص: 40. فإنما ارتفع الحساب عنه، لأنه تناولها و كان وله قلبه إلى الله عز وجل. ولقد كان في أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من لم يشغله المال عن العبادة و الفرائض و أداء الحقوق نحو عباده، فوصل إلى درجة الأولياء و المقربين .

يروى أن المؤرخ الفقيه أبا الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، و المتوفى سنة (1089 هـ) يذكر لنا في كتابه " شذارت الذهب " في الجزء الرابع ص 168 أن نصر بن منصور العطار المتوفى سنة (553 هـ) كان تاجراً كبيراً، كثير المال، واسع الثراء و كان مع ماله الكثير، وليا من أولياء الله الصالحين .

فقد ذكر في كتابه أن رجلاً يسمى العكبري أصيب بألم شديد في عينيه،

ملف العدد

الصالحين. وصلى الله على محمد وآله
وسلم. ■

